13- (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ)

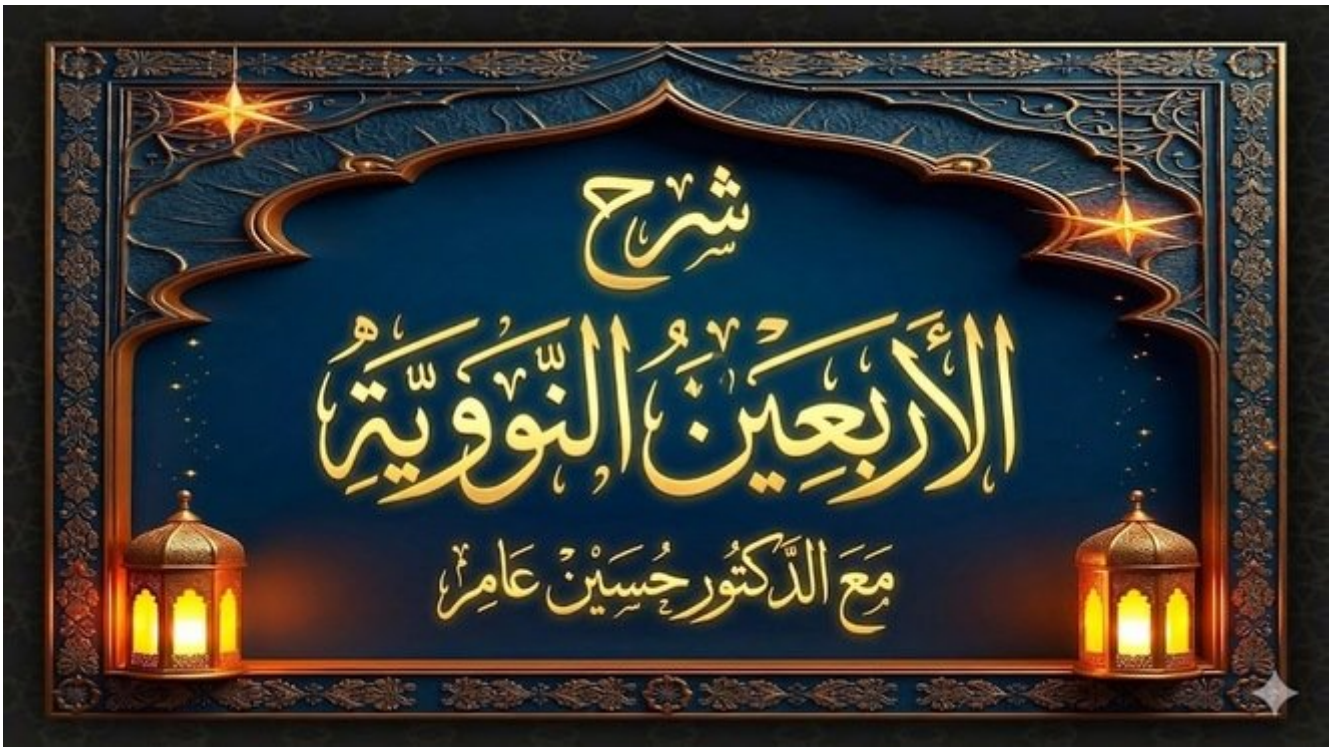

عَنْ أَبِيْ حَمْزَة أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَن النبي ﷺ قَالَ: (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري ومسلم[1]

التعريف براوي الحديث

التعريف بأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ

- هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي رضي

الله عنه، ويُكنى أبا حمزة.

- وُلد بالمدينة، وكان من صغار الصحابة سنا، وأمه هي الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها.
- اشتهر بلقب خادم رسول الله ﷺ؛ لأن أمه أم سليم جاءت به إلى النبي ﷺ وهو صغير، وقالت: يا رسول الله، هذا أنس يخدمك، فقبله النبي ﷺ.
- خدم أنس رضي الله عنه النبي ﷺ نحو عشر سنوات، منذ قدوم النبي ﷺ إلى المدينة حتى وفاته.
- كان أنس يقول عن حسن خلق النبي ﷺ معه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟[2]وهذا يدل على عظيم رحمة النبي ﷺ وحسن تعامله مع الصغار والخدم.
- كان أنس رضي الله عنه من المكثرين من رواية الحديث، لأنه لازم النبي ﷺ في بيته وسفره وحضره، فرأى من أحواله وأخلاقه وعبادته ما لم يره كثير من الناس.
- روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في العبادات، والأخلاق، والآداب، وصفة النبي ﷺ، ومعاملته لأهله وأصحابه.
- أخذ عنه العلم عدد كبير من التابعين، ومن أشهر من روى عنه: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وقتادة، وثابت البناني رحمهم الله.
- ودعا له النبي ﷺ فقال:"اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته"[3]،

فكان أنس رضي الله عنه من أكثر الصحابة مالًا وولدًا، وعاش عمرًا طويلًا.

- انتقل في آخر حياته إلى البصرة، وكان من آخر الصحابة موتًا بها، فصار مرجعًا لأهلها في حديث رسول الله ﷺ.
- توفي رضي الله عنه سنة **93** هـ على المشهور، وقد قارب أو جاوز المئة من عمره، ودُفن بالبصرة.

شرح الحديث

الحديث السابق كان عن حسن إسلام المرء، أما هذا الحديث فعن كمال الايمان، فعدم التدخل في شأن الاخرين والفضول من حسن الاسلام، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك هذا من كمال الايمان.

قول الرسول ﷺ: (لا يؤمن) هذا نفي لكمال الايمان، يعني لا يبلغ الدرجة الكاملة من صور الايمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وفي رواية ابن حبان توضيح لهذا المعنى: (لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير)[4].

فالمقصود من قوله ﷺ (لا يؤمن) المبالغة، والحث على هذا الفعل، فلن تبلغ أعلى درجات الايمان، حتى يفيض الحب من قلبك على إخوانك، بأن تحب لهم ما تحب لنفسك.

وطبيعة النفس البشرية حب الذات، وهذه غريزة فينا وليست عيبا فأنت تحب نفسك لتلبي احتياجاتها، من الطعام والشراب والملابس ...الخ.

لكن أنت لا تعيش في المجتمع وحدك أنت تعيش مع الناس، والحياة المادية الجافة من أكبر سلبياتها: تمجيد الأنا، وتضخيم الذات أو ورم الذات، (الأنانية)

ولهذا يجب أن تربي أولادك على أن يحب بعضهم بعضا، ولا يجوز لك أن تخص أحدهم بهدية دون الآخر، أو تعطي للذكر دون الأنثى، وكن كالمرأة الأعرابية لما سألوها أي أبنائك أحب اليك؟ قالت: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها.

فكن مع أولادك كلهم على مسافة واحدة منهم، وربهم على العطاء، فالأخ يهادي أخاه، أو يشركه في اللعبة، وفي الحلوى.. الخ، فلا ينشأ الابن على أنه أناني، لا يعرف إلا ذاته، فإذا نشأ على العطاء كإنسان محب لغيره فإنه يكون بذلك مؤمنا حقا.

أسعد الناس في الدنيا:

والإسلام علمنا أن أسعد الناس في هذه الدنيا من يسعد غيره، حتى الأطباء النفسيين الآن يقولون إن من أسباب علاج الاكتئاب العمل الخدمي بزيارة المرضى والعناية بكبار السن أو عمل طعام للفقراء والمشردين.

فأنت إذا أسعدت نفسك فهذا أمر لا يتجاوزك، فإذا أسعدت خمسة، فسعادتك خمسة أضعاف، فإذا أسعدت عشرة فسعادتك عشرة أضعاف، وهكذا.

ولذلك في الغرب لما اكتشفوا هذا الأمر بدأوا يهتمون بالجوانب الانسانية كثيرا، لأن الغرب يدير دفته الرأسمالية والمادية وكل شيء لا بد له من سعر؟ فبدأوا يفكرون في هذا الموضوع، وبدأوا يمجدون المعاني الإنسانية، ويتحدثون عنها إعلاميا.

فأقول: جرب بنفسك أن تدخل ابتسامة على وجه الطفل، جرب أن تسعد جارك، صديقك، أخاك.... جرب هذا ستجد لها مردودا طيبا، لو قلت كلمة طيبة فيها تطييب خاطر لغريب أو حبيب أو بعيد، الكلمة الطيبة لها أثر نفسي كبير.

والرسول ﷺ قال: (أعظم الأعمال سرور تدخله على قلب مسلم) [5] أعظم الاعمال، تخيل! لم يقل أعظم الأعمال أن تصلي كذا وتصوم كذا وتقرأ القرآن كذا ... كلا

وقال :(أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وأن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل.) [6]

بعض الناس عنده العكس، أعظم انجازاته أن يدخل الحزن على الناس، ما عنده

غير أسوأ الأخبار، سبحان الله، يقول لك فلان مات... حصلت كارثة ... في مصيبة، يا أخي كن من المبشرين أنشر ما فيه منفعة للناس.

وتكره لأخيك ما تكره لنفسك:

مفهوم الموافقة في الحديث: أنه كما تحب لأخيك ما تحب لنفسك، أن تكره لأخيك ما تكره لنفسك.

يعني إذا رأيت ضررا يعود على أخيك تحذره وتنصحه وتبين له، إذا رأيت شيئا سيؤذي الناس تحرص على معالجة هذا الأذى.

والرسول ﷺ قال: (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك في الطريق، فأخَّره، فشكر الله له فغفر له) متفق عليه.[7]

لو أنك وجدت حفرة وقمت بإصلاحها رجاء أن تمنع الأذى عن غيرك أنت لك مكانة عند الله.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)،[8]

وقال: (صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكأ) [9]

ولنا في رسول الله ﷺ خير أسوة في حب الخير للغير، فهو عليه الصلاة والسلام لم يكن يدّخر جهدا في نصح الآخرين، وإرشادهم إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، فقال لأبي ذر رضي الله عنه): يا أبا ذر إني أراك ضعيفا، وإني

أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم (.[10]

وسلفنا الصالح رحمهم الله، حملوا على عواتقهم هذه الوصية النبويّة، وكانوا أمناء في أدائها على خير وجه، فها هو ابن عباس رضي الله عنهما يقول: " إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم "[11]

فالذي يقدر على هذه الخصلة ويقوى عليها المسلم الذي رزق سلامة الصدر وكان قلبه خاليا من الغل والغش والحسد، فمن كان كذلك سره ما سر أخاه وساءه ما ساء أخاه، أما من كان يحمل في قلبه الغل فإنه يمنع من هذا الخير لمنافاته لما في قلبه من السوء، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز عن الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير غير أن ينقص منه شيء.

محبة الخير لغير المسلمين:

ويتسع معنى الحديث، ليشمل محبة الخير لغير المسلمين، فيحب لهم أن يمنّ الله عليهم بنعمة الإيمان، وأن ينقذهم الله من ظلمات الشرك والعصيان، ويدل على هذا ما جاء في الحديث، قال ﷺ: (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما) [12]

فليس معنى الحديث منع من فعل المعروف مع غير المسلم بل نفعل الخير

للجميع، المسلم أو غير المسلم المسالم، فيجمعنا رباط الإنسانية.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8-9]

الطماطم الفاسدة قتلت ابنه:

حدثني رجل كان يعمل في قرية، اعتاد أهلها الزراعة داخل الصوبات ليؤمّنوا الخضرة للناس طوال العام.
وفي صباحٍ يوم، لفت نظره مشهدٌ غير عادي.

رجلٌ في منتصف العمر، أمامه كميات كبيرة من الطماطم الناضجة، يمسك بخشبةٍ غليظة، ويهوي بها عليها واحدةً تلو الأخرى، حتى تتساقط مهروسة على الأرض.
توقف مشدوهاً... أمعقول هذا؟

اقترب منه وقال بلهجةٍ امتزج فيها الغضب بالدهشة: يا رجل، حرام عليك! إن لم تردها فدعها للفقراء والمساكين، لماذا تُفسد رزق الله؟

لم يرفع الرجل رأسه، وقال ببرودٍ بحسرة: خليك بحالك، أنت لا تعرف شيئًا.

ازداد استغرابه وألحّ عليه قائلا: كل هذه الكميات تفسدها؟ والله حرام عليك!!!

تنهّد الرجل متوجعا، وأسند الخشبة إلى الأرض، ثم قال بصوتٍ خافت كأنه يعترف بذنبٍ ثقيل:
أنا صاحب هذه الصوبة... وهذه الطماطم كنا نعالجها بمادة كيميائية، ليتغيّر لونها بسرعة إلى اللون الأحمر لتباع في أول الموسم بسعرٍ أعلى.

سكت قليلاً، ثم تابع وعيناه تلمعان بالدمع: لم نكن نعلم... أو كنا نتغافل... أن هذه المادة تُسبب السرطان.

خفض رأسه وقال: كنت أبيعها للناس... وأُدخلها إلى بيتي... حتى أصيب ابني بالسرطان منها.
لم نكتشف الحقيقة إلا متأخرًا، حين كان المرض قد انتشر في جسده، وتدهورت حالته فمات!!

هل فهمت الآن لم أقوم بإفساد الطماطم؟

فوائد الحديث:

1. المقصود بقوله ﷺ: «لا يؤمن» نفي كمال الإيمان، لا نفي أصل الإيمان؛ أي لا يبلغ المؤمن كمال الإيمان الواجب حتى يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه.
2. الإيمان ليس عبادات فردية فقط، بل يظهر أثره في القلب والسلوك

والعلاقات الاجتماعية.

3. محبة الإنسان لنفسه غريزة فطرية ليست مذمومة، لكن الكمال أن يترقى المسلم من حب الخير لنفسه فقط إلى حب الخير لإخوانه.
4. الإسلام يعالج الأنانية وتمجيد الذات، ويُربي المسلم على العطاء، والمشاركة، والإحساس بالآخرين.
5. ينبغي تربية الأبناء على محبة الخير لبعضهم، وعدم تفضيل أحدهم بالعطايا بغير حق؛ لأن ذلك يزرع الحسد والأنانية.
6. العدل بين الأولاد من وسائل غرس المحبة بينهم، فلا يُخص ذكر دون أنثى، ولا ولد دون آخر إلا لمسوّغ معتبر.
7. من علامات كمال الإيمان أن يفرح المسلم بنعمة أخيه كما يفرح بنعمة نفسه.
8. أسعد الناس من يسعد غيره؛ لأن إدخال السرور على الناس يعود على القلب بسعادة أوسع من السعادة الفردية.
9. إدخال السرور على المسلم من أحب الأعمال إلى الله، ويدخل فيه تفريج الكرب، وقضاء الدين، وإطعام الجائع، وقضاء الحوائج.
10. النفع المتعدي أعظم أثرًا من النفع القاصر؛ فكلما اتسع نفع الإنسان للناس زادت بركة عمله وسعادته.
11. كما تحب لأخيك الخير، يجب أن تكره له الشر والضرر؛ وهذا من مفهوم الحديث ومعناه الكامل.

12. محبة الخير للغير تقتضي النصيحة الصادقة، فإذا رأيت أخاك على ضرر أو طريق مؤذٍ، نصحته برفق وصدق.
13. سلامة الصدر شرط مهم لتحقيق هذا الحديث؛ فمن امتلأ قلبه بالحسد والغل صعب عليه أن يحب الخير للناس.
14. الحسد يناقض كمال الإيمان؛ لأن الحاسد يكره أن يساويه غيره في الخير أو يسبقه إليه.
15. الإيمان يربي القلب على المشاركة لا الاحتكار، فيحب المؤمن أن ينال الناس من الخير مثل ما ن